"سر صناعة الإعراب" لابن جني(334هـ – 392هـ)

I. التعريف بالمؤلف:

1. ترجمة المؤلف:

أبو الفتح عثمان بن جني النحوي الأزدي بالولاء، كان أبوه روميًّا مملوكًا لسليمان بن فهد بن أحمد الأزدي من أعيان الموصل. ولد أبو الفتح سنة 334هـ.

وقد لازم أبو الفتح أبا علي الفارسي أربعين عامًا حتى صار كأنه كاتب له، وقد أخذ عنه اللغة والأدب، ويظهر هذا في سر الصناعة حيث يذكره كثيرًا، وكانا في النحو على المذهب البصري. وأخذ أيضا عن أحمد بن محمد الموصلي الأخفش، وأبو بكر محمد بن الحسن المعروف بابن مقسم(ت335هـ) راوية ثعلب، وسمع من فصحاء الأعراب وروى عن أبي الفرج الأصبهاني صاحب الأغاني، وعن أبي حاتم السجستاني، وعن أبي عباس المبرد. وكان له أشعار حسنة، وصحب المتنبي في شيراز، وكان لأول من شرح ديوانه في "الشرح الكبير والشرح الصغير). وتوفي –رحمه الله– ببغداد سنة "392هـ".[1]

2. مؤلفاته:

ولابن جني من التصانيف المفيدة خمسين تصنيفا في النحو وغيره، وهي كتاب " الخصائص " و" سر الصناعة " و" المنصف في شرح تصريف أبي عثمان المازني " و" التلقين في النحو " و" التعاقب " و" الكافي في شرح القوافي " للأخفش، و" المذكر والمؤنث " و" المقصور والممدود " و" التمام في شرح شعر الهذليين " و" المنهج في اشتقاق أسماء شعراء الحماسة " ومختصر في العروض ومختصر في القوافي و" المسائل الخاطريات " و" التذكرة الأصبهانية " و" مختار تذكرة أبي علي الفارسي " وتهذيبها و" المقتضب في المعتل العين و" اللمع " و" التنبيه " و" المهذب " و" التبصرة " وغير ذلك، ويقال: إن الشيخ أبا إسحاق الشيرازي أخذ منه أسماء كتبه، فإن له " المهذب " و" التنبيه " في الفقه، و" اللمع " و" التبصرة " في أصول الفقه. وشرح ابن جني ديوان المتنبي وسماه الفسر...وهي مؤلفات كثيرة ومتنوعة ومنظّمة تعكس ثقافته الموسوعية.[2]

3. مكانته:

لقد كان لابن جني مكانه مرموقة بين علماء عصره، فقد خلف أستاذه أبا علي الفارسي في التدريس في بغداد بعد وفاته، وكان له تلاميذ كثيرون منهم أئمه كعبد السلام البصري والسمسم. له بسطه في العلم عوضت

1 ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت،1990، 3/ 246.

2 ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، 3/ 247.

نقصه في الجسم والنسب. اعتبره العلماء فيلسوف العربية. وكان بصريا المذهب، وهو يمثل نضج الدراسات اللغوية في عصره وقدر تقابل العلم اللغوي درجات بعد أن وقف على حدودي عمل الخليل.[1]

II. التعريف بالكتاب:

1. العنوان:

عنوان الكتاب هو سر صناعه الإعراب). والإعراب من أعرب الكلام إذا بينه ولم يلحن فيه. (فالإعراب) هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ. والأسرار إذا كانت صفة للغة دلت على الحسن في الصياغة والعمق في المعاني. وما يلاحظ أن هناك خلافا حول العنوان الذي صرح به في قوله "وإنما الغرض فيه ذكر أحوال الحروف منفرده من أبنية الكلم". وهو ما جعل البعض يرى أن العنوان هو (سر الصناعة) فقط في بعض النسخ الكتابي دونها.[2]

2. سبب تأليفه:

وضع ابن جني لكتابه مقدمة استهلها بمخاطبة رجل لم يفصح عن اسمه، لكن يظهر أن مكانته عالية في عصره. وأن الكتاب وضع باقتراح منه، ثم أفصح عن مضمونه، باذلا كل جهوده في إتقان تام لهذا الكتاب إرضاء لهذا الرجل.

قال في مقدمته: " رسمت، أطال الله بقاءك، وأحسن إمتاع العلم وأهله بك؛ فإنك بحمد الله ما زلت جمالا له ولهم، وقفا عليه وعليهم، إن أظلم شِقّ منه، كنت لهم فيه سراجا... أن أضع كتابًا يشتمل على جميع أحكام حروف المعجم، وأحوال كل حرف منها، وكيف مواقعه في كلام العرب. وأن أتقصى القول في ذلك، وأشبعه وأؤكده، فاتبعت ما رسمته، وانتهيت إلى ما مثلته...

3. مضمونه ومكانته:

ذكر ابن جني في مقدمته أن الرجل صاحب المنزل قد حدد له موضوع كتابه سر صناعه الإعراب، حين رسم له أن يضع كتابا يشتمل على أحكام حروف المعجم، وأحوال كل حرف منها وكيف مواقعه في كلام العرب، وان أتقصى القول في ذلك واشبعه وأؤكده فاتبعته ما رسمته. موضوع الكتاب هو حروف المباني درسها من حيث أصالتها وزيادتها وإبدالها وإعلالها في الكلمة العربية

اشتمل كتاب سر صناعه الإعراب على:

---

1 محمد حسين آل ياسين، الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث الهـ، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 1980، ص 491.

2 سر صناعه الإعراب، لابن جني، تحقيق حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية، 1993، 1/ 19.

1. مدخل في علم الأصوات.
2. تسعه وعشرون بابا على حروف المعجم، حيث رتبها ترتيبا هجائيا الهمزة الباء التاء إلى أخره تناول فيه أسماء الحروف وأجناسها ومخارجها ومدارجها المستحسنة وفروعها المستقبل وصفاتها وقواعد تأليفها.
3. خاتمة تتضمن ثلاثة فصول هي ذكر تصريف حروف المعجم واشتقاقها وجمعها.
4. حسن ائتلاف الحروف في نظامها في نظامها.
5. التدرب على صياغته فعل الأمر.

فالكتاب دراسة صوتية دقيقة ومخارجها وصفاتها، وما يحدث في صوت الكلمة من إعلال وإبدال وإدغام ونقل وحذف، وما يجري في حروفها من تغيير يؤدي إلى جمال الجرس. إضافة إلى ذلك فهو حافل بالمباحث النحوية والصرفية في استطراداته الكثيرة. فهو من أوفى الكتب التي تناولت القضايا الصوتية، حيث أعطاها حقها وتوسع فيها. ولعله أول كتاب مستقل لدراسة الأصوات وما يتعلق بها من مسائل لغويه أخرى، إذ لم يعرف العرب قبله كتابا مستقلا في الأصوات؛ شرح ابن جني الكثير مما أجمله السابقون مثل سيبويه، وفسر مما غمض من كلامهم، ومثل لما تركوا التمثيل له، وأضاف بعد ذلك إضافات تحسب **له**. فهو مصدر أساسي في الدراسات الصوتية والصرفية العربية.

6. منهجه:

يبين ابن جني عن منهجه في "سر صناعة الإعراب" انطلاقا من المقدمة، وفي معرض حديثه إلى ذلك الرجل العظيم الذي لبّى ابن جني طلبته. ويمكن بكل يسر استجلاء خصائص منهجه من قوله في المقدمة:

أ- "...وأنا بإذن الله ومعونته، وطوله ومشيئته، أبلغ من ذلك فوق قدر الكفاية، وأحرز فيه بتوفيق الله قصب الغاية، وأجتنب مع ذلك الإسهاب والإطالة، إلا فيما تضمن نكتا أو آثار دفينة، وأتبع كل حرف منها مما رويته عن حذّاق أصحابنا وجلتهم، وحذوته على مقاييسهم وأمثلتهم، ما أقدّر أن فيه بلوغا لأمدك، وإصابة لغرضك.

ب- وأذكر أحوال هذه الحروف في مخارجها ومدارجها. وانقسام أصنافها، وأحكام مجهورها، ومهموسها، وشديدها ورخوها، وصحيحها ومعتلها، ومطبقها ومنفتحها، وساكنها ومتحركها، ومضغوطها ومهتوتها (الهتت الضعف والخفاء)، ومنحرفها ومشربها، ومستويها ومكررها، ومستعليها ومنخفضها، إلى غير ذلك من أجناسها

ج- وأذكر فرق ما بين الحرف والحركة، وأين محل الحركة من الحرف: هل هي قبله، أو معه، أو بعده؟

د- وأذكر أيضا الحروف التي هي فروع مستحسنة، والحروف التي هي فروع مسقبحة، والحركات التي هي فروع متولدة عن الحركات، كتفرع الحروف عن الحروف.

هـ- وأذكر أيضا ما كان من الحروف في حال سكونه له مخرج ما، فإذا حُرّك أقلقته الحركة، وأزالته عن محله في حال سكونه.

و- وأذكر أيضا أحوال هذه الحروف في أشكالها، والغرض في وضع واضعها، وكيف ألفاظها ما دامت أصواتا ، ثم كيف ألفاظها إذا صارت أسماء معربة، وما الذي يتوالى فيه إعلان بعد نقله، مما يبقى بعد ذلك من الصحة على قديم حاله، وما يمكن تركبه ومجاورته من هذه الحروف وما لا يمكن ذلك فيه، وما يحسن وما يقبح فيه ما ذكرنا، ثم أفرد فيما بعد، لكل حرف منها بابا أغترق فيه ذكر أحواله وتصرفه في الكلام، من أصليته وزيادته، وصحته وعلته، وقلبه إلى غيره، وقلب غيره إليه.

ز- وليس غرضنا في هذا الكتاب ذكر هذه الحروف مؤلفة، لأن ذلك كان يقود إلى استيعاب جميع اللغة، وهذا ما يطول جدا، وليس عليه عقدنا هذ الكتاب، وإنما الغرض فيه ذكر أحوال الحروف منفردة، أو منتزعة من أبنية الكلم التي هي مصوغة فيها لما يخصها من القول في أنفسها، وأقروا ذلك شيئا فشيئا على تأليف حروف المعجم، دون مدارج الحروف، كما آثرت، وبه أمرت، وسأتجشم لطاعتك المضض، بانكشاف أسرار هذا العلم...[1]

ح- وبالإمكان سلك المصادر التي اعتمد عليها ضمن منهجه، فقد اعتمد شواهد كثيره على رأسها القرآن الكريم، واستشهد بالقراءات القرآنية، والشعر العربي، وأكثر أنواع شواهده بالشعر الجاهلي مثل أمرؤ القيس وطرفه، وبالإسلامي مثل حسان والأخطل والفرزدق، ومن العباسيين مثل إبراهيم بنهرمة والمتنبي، واستشهد بأبيات دون نسبة. كما اهتم باللغات واللهجات اهتماما كبيرا وتناولها بالشرح والتفصيل والاستشهاد بأقوال العلماء والأشعار. وزخر الكتاب بأقوال العلماء وعلى رأسهم أستاذه أبو علي الفارسي، ثم سيبويه الذي استشهد بمادة كتابه وشارحيه وناقضيه أمثال الأخفش والمبرد والمازني والثعلب.

نص من "سر صناعة الإعراب" : باب الثاء:

الثاء: حرف مهموس، وهو أحد حروف النفث، ومحله من الذال محل التاء من الدال، ولا تكون إلا أصلا، فاء أو عينا أو لاما، فالفاء نحو ثمر وثبت، والعين نحو جثل وخثر، واللام نحو فحث وبعث.

واعلم أن الثاء إذا وقعت فاء في افتعل وما تصرف منه قلبت تاء، وأدغمت في تاء افتعل بعده، وذلك قولهم في افتعل من الثريد اترد، وهو مترد، وإنما قلبت تاء، لأن الثاء أخت التاء في الهمس، فلما تجاورتا في المخارج أرادوا أن يكون العلم من وجه واحد، فقلبوها تاء، وأدغموها في التاء بعدها، ليكون الصوت نوعا واحدا، كما أنهم لما أسكنوا تاء وتد تخفيفا أبدلوها إلى لفظ الدال بعدها، فقالوا: ود، ومثل ذلك قولهم في افتعل من الثأر: اتأر، وفي افتعل من ثنى: اتنى. قال:

---

[1] ابن جني أبو الفتح عثمان الموصلي، سر صناعة الإعراب، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، الطبعة الأولي 1421هـ- 2000م، 1/ 17-18.